الرعاية التلطيفية في السياق القرآني

د. إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم*

سلم البحث في ١٤٤١/٦/٤هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/٧/٨هـ

ملخص البحث:

هذا البحث بعنوان: (الرعاية التلطيفية في السياق القرآني)، قدّمْت له بمقدمة تضمنت أهدافه وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهجيته، وخطة البحث فيه. ويشتمل على مبحثين، الأول منهما: تناول موضوع الرعاية التلطيفية في السياق القرآني وأصالة موضوعها، وقد اشتمل على تعريف الرعاية التلطيفية وأصالة موضوعها، ودراسة مصطلح (المرض) ونظائره في السياق القرآني، وأبرز الألفاظ القرآنية التي تدل على الرعاية التلطيفية، والوقوف على بعض المواقف القرآنية حول الرعاية التلطيفية. أما المبحث الثاني فهو عبارة عن قواعد ومنطلقات في الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم، بيّن أهداف الرعاية التلطيفية، وأهم الأمراض التي تحتاج لرعاية تلطيفية، وأثر الرعاية والتلطيف على المرضى وذويهم، وبيان دوائر الرعاية التلطيفية، وصفات من يمارسها، وأهم التوجيهات العامة في ذلك. وخلُص البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها.

كلمات مفتاحية: القرآن – الرعاية – التلطيفية.

Research Summary:

This research, entitled: (Palliative Care in the Quranic Context), was presented to him with an introduction that included his goals, reasons for choosing him, previous studies, his methodology, and a research plan in it. It includes two topics, the first of them: Addressing the issue of palliative care in the context of the Qur'an and the originality of its topic. It included the definition of palliative care and the originality of its topic, a study of the term (illness) and its analogues in the Qur'an context, and the most prominent Qur'anic terms that indicate palliative care, and stand on some Quranic positions About palliative care. As for the second topic, it consists of rules and principles in palliative care for patients and their families, showing the goals of palliative care, the most important diseases that need palliative care, the effect of care and palliative on patients and their relatives, a statement of palliative care departments, the characteristics of those who practice it, and the most important general guidance in that. The research concluded with the most important findings and recommendations.
Keywords: The Quran - Care - Palliative.

* أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد: فإن الإسلام حرص على الإنسان وسلامته، فجعل حفظَ النفس إحدى الضرورات الخمس، وشرع –من أجل ذلك– سُبُل المحافظة عليها، وكلّف الإنسان باستخدام وسائل الحفظ، ومن هذه الوسائل الرعايةُ التلطيفيةُ، وهذا البحث خصصت الحديث فيه عن موضوع (الرعاية التلطيفية في السياق القرآني) سائلاً الله تعالى التوفيق والقبول.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- الوصول لأفضل الأساليب في الرعاية التلطيفية، مستنداً إلى آيات القرآن الكريم.
- بيان أهم الصفات لمن يقوم بهذا العمل.
- إفادة دوائر مقدمي الخدمة الصحية ببحث في الرعاية التلطيفية من خلال السياق القرآني.

أسباب اختيار البحث:

تداول بعض الأفاضل في إحدى الجلسات فيما بيننا مصطلح (الرعاية التلطيفية للمرضى)، وتحدثوا عنه من ناحية شرعية، كان ذلك متزامناً مع عقد مؤتمر لكلية الطب في الجامعة الإسلامية بغزة في فلسطين حول موضوع الرعاية التلطيفية للمرضى في فلسطين، فوقع في نفسي أن أبحث في هذا الموضوع الجديد من ناحية قرآنية، ومما زادني تشوُّفاً للكتابة فيه أنه لم يتطرق إليه أحد من الباحثين من الناحية القرآنية.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاعي على الأبحاث والدراسات التي كُتِبت حول الرعاية التلطيفية وجدت أنها في أغلبها تدرس الموضوع من منظور طبي، وقليل منها ما يدرسه من منظور شرعي، والدراسة الوحيدة التي وقفت عليها وتناولت هذا الموضوع قرآنياً هي بحث مقدّم من الدكتور صبحي رشيد اليازجي بعنوان: (الرعاية التلطيفية للمريض والتخفيف عنه في الإسلام من منظور قرآني)، المقدَّم في مؤتمر كلية الطب في الجامعة الإسلامية بغزة في فلسطين، الذي بعنوان: (علاج الألم والرعاية التلطيفية في فلسطين)، وهي دراسة تناولت الموضوع بعيداً عن موضوع بحثي الذي تناولت فيه الرعاية التلطيفية في السياق القرآني.

منهجية البحث:

- استخدام المنهج الانتقائي للآيات القرآنية الدالة على الموضوع.
- استخدام المنهج الاستنباطي والتحليلي لمعرفة الدلالة القرآنية على الرعاية التلطيفية.
- صياغة البحث على أصول التفسير الموضوعي.
- تركيز البحث على أساسيات ومبادئ عامة حول الرعاية التلطيفية من خلال السياق القرآني مع صرف الاهتمام إلى الرعاية التلطيفية للمرضى كلما سنحت الفرصة لذلك.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وهي على النحول التالي:

المبحث الأول: الرعاية التلطيفية في السياق القرآني وأصالة موضوعها: تضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الرعاية التلطيفية.

المطلب الثاني: أصالة موضوع الرعاية التلطيفية.

المطلب الثالث: المرض ونظائره في السياق القرآني.

المطلب الرابع: ألفاظ قرآنية تدل على الرعاية التلطيفية.

المطلب الخامس: مواقف قرآنية حول الرعاية التلطيفية.

المبحث الثاني: قواعد ومنطلقات في الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم: تضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهداف الرعاية التلطيفية.

المطلب الثاني: أمراض تحتاج لرعاية تلطيفية وأثر الرعاية على المريض وذويه.

المطلب الثالث: دوائر الرعاية التلطيفية.

المطلب الرابع: صفات فريق الرعاية التلطيفية.

المطلب الخامس: توجيهات عامة في الرعاية التلطيفية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
الرعاية التلطيفية في السياق القرآني وأصالة موضوعها

حرص الإسلام على النفس البشرية، فجعل الحفاظ عليها من أهم مقاصد الشريعة، وأمر الإنسان بالحفاظ عليها من التلف أو أن يحلقها أي ضرر أو فساد يؤدي إلى هلاكها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، "أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك"[١]. وقال أيضاً: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، والنهي في الآية يتناول قتل النفس مطلقاً، سواءً قتل الشخص نفسه، أو قتل غيره، ويدخل فيه كل

ما يؤدي إلى إتلافها[٢].

والرعاية التلطيفية تأتي ضمن وسائل كثيرة للحفاظ على النفس البشرية، فهي تحُدُّ من المرض وتعمل على شفائه، أو استقرار حالة المريض، أو على الأقل عدم تفاقم المرض إن أمكن، كما أنها تهدف إلى التخفيف عن المجروحين والمكلومين وأصحاب البلايا، ولا شك أن هذا مطلوب شرعي أصيل في الشريعة الإسلامية.

ويحسُن هنا قبل البدء في تفصيل موضوع الراعية التلطيفية في السياق القرآني أن نقف على بعض الموضوعات ذات الصلة بموضوع البحث وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: معنى الرعاية التلطيفية

أولاَ: الرعاية: لغة:

"(رعى) الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر الرجوع. فالأول: رَعَيْت الشيء: رَقِبْته؛ ورَعَيْته: إذا لاحظته... وراعَيْت الأمر : نظرت إلام يصير"[٣]. والرِّعَايَةُ: حِرْفةُ الرَّاعِي، والمَسُوسُ مَرْعِيٌّ ، والراعِي: الوالي، والرَّعِيَّة: العامَّة، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمرَ قومٍ فَهُوَ راعِيهم وهُم رَعِيَّته .. وَقَدِ اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهم: اسْتَحْفَظه. والمُرَاعَاةُ: المحافَظة والإِبْقاءُ عَلَى الشيءِ. والمُراعاةِ: الحِفْظِ والرِّفْقِ وتَخْفِيفِ الكُلَفِ والأَثْقالِ عَنْهُ[٤].

فالرِّعاية والمراعاة يدور معناها حول المراقبة والحفظ والرِّفق والتخفيف.

ثانياً: التلطيفية: لغة:

"(لطف) اللام والطاء والفاء أصل يدل على رفق ويدل على صغر في الشيء. فاللُّطْف: الرفق في العمل؛ يقال: هو لطيف بعباده، أي رءوف رفيق "[٥]، ولَطُفَ بهِ يَلْطُفُ لُطْفاً بالضمِّ: إذا رَفَقَ بِهِ، وأَنا أَلْطُفُ بِهِ: إذا أَرَيْتُهُ مَوَدَّةً ورِفْقاً فِي مُعامَلةٍ، ولَطُفَ فُلانٌ لفُلانٍ يَلْطُفُ: إذا رَفَقَ لُطْفاً، ويُقال: لَطَفَ اللهُ لَكَ: أَي أَوْصَلَ إِلَيْكَ مُرادَك بلُطْف ورِفْقٍ، ولاطَفَة مُلاطَفَةً: أَلانَ لَهُ القَوْلَ [٦]، وَ(الْمُلَاطَفَةُ) الْمُبَارَّةُ [٧]، واللطيف في أسماء الله تعالى: " هُوَ الَّذِي اجْتَمع لَهُ الرِّفْق فِي الفِعْل، والعِلْمُ بدَقَائق المصَالح وإِيصَالها إِلَى مَن قَدَّرَهَا لَهُ مِن خَلْقه "[٨].

فمادة (لطف) تدور حول معنى الرفق والبرّ والمودة ولين القول، كما أنها تدل كذلك على ما صَغُر ودَقَّ.

ثالثاً: الرعاية التلطيفية من منظور شرعي:

بعد النظر في المعنى اللغوي لمصطلحَيْ (رعى) و(لطف)، يمكن أن نخْلُص إلى المعنى الاصطلاحي لمركب (الرعاية التلطيفية) بمعناه الشرعي، ونستطيع القول

بأن الرعاية التلطيفية: كل ما يُقدَّم للمبتلَى بمرض وغيره من عناية، ورفقٍ في المعاملة، ولين في القول، مواساة له وتخفيفاً عنه، لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة.

رابعاً: الرعاية التلطيفية من منظور طبي:

هي "مجموعة الجهود الطبية المقدمة من فريق متعدد الخبرات للمرضى الذين يواجهون أمراضاً مزمنة، بهدف تحسين نوعية الحياة، ورفع المعاناة عنهم وعن عائلاتهم، مع الأخذ بعين الاعتبار الحاجات البدنية والنفسية والاجتماعية والروحانية"(٩).

والطب التلطيفي: الطب الذي يهدف إلى منع حدوث المرض وتخفيف المعاناة، وتقديم المعونة والدعم للحصول على أقصى درجة من الحياة الجيدة والمريحة للمرضى الذين يعانون من أمراض مستعصية كالأورام، مهما كانت مرحلة المرض أو تقدمه أو مرحلة العلاج، ويتم هذا العلاج بطرق ملائمة لكل مريض على حسب حاجته الخاصة(١٠).

وهذه النظرة الطبية للرعاية التلطيفية مقتصرة على الرعاية المقدمة للمرضى، فبينما المنظور الشرعي للرعاية التلطيفية يشمل الرعاية المقدَّمة لكل مبتَلىً؛ سواء بمرض أو بغيره.

المطلب الثاني: أصالة موضوع الرعاية التلطيفية

إن استعمال مفهوم (الرعاية التلطيفية) من منظورٍ إنسانيٍّ يعتبر جديداً، لم يظهر قبل عام ١٩٦٧م، وكان يعنى بجانبٍ محدودٍ من الرعاية، وهو رعاية كبار السن، ولم يستعمل في معناه الشامل لكل من يحتاج إلى رعاية وتلطيف؛ كرعاية الأيتام والفقراء والمساكين ورعاية الوالدين وغيرهم.

"وقد بدأت هذه الحركة بجهود الطبيبة البريطانية سيسلي سوندرز C.Saunders، فقد أسست عام ١٩٦٧م أول تكية من هذا النوع في جنوب شرقي لندن تسمى: تكية سانت كروستوفر لرعاية أولئك الذين يعانون من مرض الموت"(١١). ومن ثم دخل العلاج التلطيفي المستشفيات جنباً إلى جنب مع أنواع العلاج الأخرى.

إذن فمفهوم الرعاية التلطيفية وتحديده، واستعماله كمصطلح، يعتبر جديداً.

سَبْق الإسلام في الرعاية التلطيفية:

امتازت الشريعة الإسلامية بشمولها ومرونتها وعموم أحكامها، فهي تواكب كل جديد، وتتكيف مع كل واقع يحياه الإنسان.

إن من أولويات الشريعة المحافظة على النفس البشرية من الهلاك، وهي

إحدى مقاصد الشريعة الكبرى، والمحافظة تقتضي أن يحفظ الإنسان هذه النفس بكل وجه من أوجه الحفظ، وأن يرعاها بكل طريقة من طرق الرعاية، بما في ذلك الرعاية التلطيفية، فقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقد جرَّم الإسلام قاتل النفس بغير حق، فجعله كمن قتل جميع الناس، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة:٣٢]، وفي المقابل جعل من أحيا هذه النفس، أو تسبب في إحيائها كمن أحيا جميع الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة:٣٢]، وهذا يكشف عن مدى رحمة الإسلام ولُطفه بالإنسان، وحرصه عليه ورعايته له من أي فساد يلحق به، جسدياً كان أو نفسياً أو روحياً.

إن الحديث عن الرعاية التلطيفية من المنظور الإنساني يعتبر جديداً، لكننا بالرجوع إلى شريعتنا الغراء نجد فيها ذلك الاهتمام بهذا النوع من الرعاية بجانب أنواع الرعاية الأخرى كالنفسية والاجتماعية ونحوها، غير أن الشريعة لم تصرّح بهذا المصطلح المتداول وهو (الرعاية التلطيفية)، لكن نصوص القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ يبينان مدى الاهتمام بها، فنجد القرآن الكريم يذكر العوارض التي تصيب الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وكيفية التعامل معها بداية من الشخص المصاب نفسه، ومن البيئة المحيطة به، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]، وهي دعوة واضحة لذات المصاب أو المريض أو المبتلى بأي نوع من أنواع الابتلاءات بأن يصبر ويتحمل، لأن هذا قدَرُه الذي قدّره الله له وابتلاه به، وهذا النص الكريم وعاه النبي ﷺ والمسلمون الأوائل وعملوا به، فقد كان ﷺ يوعك وعكاً شديداً كالرجلين، فقد روى عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[١٢]، وهذه الكيفية في التعامل مع الابتلاءات عموماً كان دأب الصالحين من بعده ﷺ حتى يومنا هذا.

ومن ناحية أخرى فإن الشريعة وجّهت المسلم إلى كيفية التعامل مع المرضى عموماً، فشرعت عيادة المريض على أنها حق له، وواجب شرعي على السليم، فعن

أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»(١٣)، ولا شك أن العيادة نوع من المعاهدة والرعاية المستمرة الدائمة، وهي حق للمريض على السليم، وواضح في النص الشرعي الكريم من عيادة المريض أن الغاية من هذه المعاودة أن يواسيه ويخفف عنه من آلامه، ويُخرجه من الشعور بالوحدة التي قد تزيد من ألمه، وتضاعف من مرضه، فتكرار زيارته ترفع عنه هذه المعاناة النفسية، وتخفف عنه من آلامه، وربما انعكست على المريض فخففت من مرضه كذلك، فكان تشريع عيادة المرض كحق له، وواجب على السليم.

هذا، وقد منح الإسلام المريض رخصاً في أداء العبادات تيسيراً عليه، وتخفيفاً عنه، وتلطفاً بحاله، إذ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وهو ما سيبدو الحديث عنه خلال هذا المبحث إن شاء الله.

إن النصوص الشرعية التي تؤكد معنى الرعاية –بما فيها الرعاية التلطيفية– كثيرة في القرآن الكريم، وهي كذلك في حياة النبي ﷺ كعيادته للمرضى من المسلمين أو غيرهم، وتوجيهه للمسلمين بعيادتهم. وهذا الموضوع سيزداد وضوحاً وتأكيداً من خلال المطالب التالية في هذا المبحث، فهي بمجموعها تؤكد أصالة هذا العلم، وأن السبق فيه للإسلام، الذي تناول موضوع الرعاية التلطيفية للمرضى وغيرهم.

المطلب الثالث: المرض ونظائره في السياق القرآني

نظراً لأن النظرة المعاصرة للرعاية التلطيفية منصرفة إلى الرعاية التي تخص المرضى، لذا أفردت هذا المطلب للدراسة المرض ونظائره في القرآن الكريم:

أولاً: لفظ المرض:

ورد لفظ (مرض) ومشتقاته في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة في سياقات مختلفة بمعانٍ متباينة، فقد يراد به المرض الحقيقي، وهو في أحد عشر موضعاً؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [طه:٨٠]، وهذه الآية تدل على أن الشافي هو الله، وما سوى هذا الموضع من المواضع الأحد عشر جاء المرض فيها في سياق الحديث عن أحكام الشريعة في مقام الرخص الشرعية، ما يعني أن الشريعة الإسلامية أشد حرصاً على أن يكون للمريض فُسحة من دينه في إقامة شعائره، كما في الصيام والتيمم والجهاد وغيرها، غير موضع واحد كلّف فيه الشارع المريض بفعله، ومنعه أن يعتذر عنه، وهو المداومة على قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ

وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠]؛ وذلك لما في قراءة القرآن من شفاء الصدور، واستقرار النفوس، وراحة البال، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وهو مع ذلك مقيّد بالتيسير، تلطفاً وتخفيفاً.

إن جانب رعاية المريض في تشريع الرُخَص واضح، فإن الإسلام الحنيف راعى قدرة الإنسان واستطاعته حال التكليف، والله لا يكلف نفساً إلا وُسعها وطاقتها، والمريض حال التكليف قد لا يستطيعه، أو يستطيعه بمشقة، لذا رخص له الشارع الحكيم عدم فعله أو خفف عنه في الفعل، لأن سلامة الإنسان والمحافظة على حياته من أولويات الشريعة.

وورد لفظ (مرض) بمعناه المجازي في ثلاثة عشر موضعاً، وهي بمعنى ما يقع في القلب من الشك والريبة في دين الله ومخالفة شرعه، وأغلبها في شأن المنافقين.

ثانياً: لفظ الضر:

ورد لفظ (ضر) ومشتقاته في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة، ومعناه: "سوء الحال إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه"(١٤).

الملاحَظ أن الضر أعم من المرض، فهو يشمله وبشمل غيره مما يلحق الإنسان من فَقْد مال أو هلاك زرع أو نحوه، وقد يكون الضر بالهلاك، من هنا ندرك سبب دعاء أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣]؛ لأن الذي أصابه لم يقتصر على المرض الجسدي، بل طال المالَ والأهلَ كذلك (١٥)، فبيْن الضر والمرض عموم وخصوص.

ثالثاً: لفظ البلاء:

ورد لفظ (بلو) ومشتقاته في القرآن الكريم سبعاً وثلاثين مرة، ومجموع الآيات يدل على أن الابتلاء يقع في الدنيا بالسراء والضراء، إلا في موضعين يتحدثان عن الآخرة(١٦)، والابتلاء يشتمل على المرض كنوع من أنواع الابتلاء التي تصيب الإنسان، ومن الآيات التي تشتمل ابتلاء الإنسان بإصابته بالضر والمرض قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، ومن جملة نقص الأنفس ما يصيبها من أمراض، قال الإمام السمرقندي مفسراً نقص الأنفس: "يعني الموت والقتل والأمراض"(١٧)، فبين

الابتلاء والمرض عموم وخصوص.

رابعاً: لفظ المصيبة:

ورد لفظ (صوب) باشتقاقاته المختلفة في القرآن الكريم سبعاً وسبعين مرة، وهو كل ما يصيب الإنسان فيضرُّه، فلفظ (المصيبة) لم يستعمل في القرآن الكريم إلا في الضراء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢]، والمصيبة في النفس تكون بالموت والأمراض وغيرها(١٨)، فالمرض جزء من المصيبة. وقد مدح الله المخبتين فوصفهم بصفات منها: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج:٣٥]، وهذه الآية تتضمن التوجيه السديد إلى أفضل طريق لمواجهة المصائب، وذلك بالصبر والتحمّل.

فلفظ (المصيبة) يدخل فيه المرض، وبينهما عموم وخصوص أيضاً.

خامساً: لفظ حَرَض:

ورد لفظ (حَرَض) في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ اثنين منها بمعنى التحضيض، والثالث- وهو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥]، قال في لسان العرب: "رَجُلٌ حَرِضٌ وحَرَضٌ أَي فَاسِدٌ مَرِيضٌ فِي بِنَائِهِ، ... وحَرَضه المرضُ وأَحْرَضَه إِذا أَشفى مِنْهُ عَلَى شَرَفِ الْمَوْتِ ... المُحْرَضُ الْهَالِكُ مَرَضاً الَّذِي لَا حيٌّ فيُرْجَى وَلَا مَيِّتٌ فيُؤَس مِنْهُ"(١٩)، وقد وقع يعقوب عليه السلام في هذه الحالة بسبب فَقْده لولده يوسف عليه السلام، حتى نقل بعض المفسرين أن أصل معنى الحرض: الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم(٢٠)، ولا شك أن يعقوب عليه السلام قد أثَّر فيه فَقْدُ يوسف عليه السلام تأثيراً شديداً، فقد أحبه حباً أحسَّ به أبناؤه فقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:٨]، وحَزِن على فِراقِه، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤]، وهزل جسمه، وبدت عليه علامات الهرم، حتى كاد يكون حرَضاً أو من الهالكين. وقد لجأ يعقوب في التلطيف على نفسه، والتخفيف من حزنه إلى الله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، الذي هو مفزع كل ملهوف، وملجأ كل مكروب.

ولعل لفظ (الحرض) هو أقرب الألفاظ التي تدل على الأمراض المستعصية التي تُفضي بصاحبها إلى هلاك.

فهذه جملة من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم التي تدل في معناها على المرض، أو تشمله في معناها العام.

المطلب الرابع: ألفاظ قرآنية تدل على الرعاية التلطيفية

إن مصطلح (الرعاية التلطيفية) لم يرد التصريح به في القرآن الكريم، وإنما وردت ألفاظ وأساليب قرآنية تقرر مبدأ الرعاية عموماً، وتشتمل في فحواها على الرعاية التلطيفية، وفيما يلي وقفة مع هذه الألفاظ ثم يتبعها الحديث عن الأساليب في المطلب الذي يتلوه:

أولاً: لفظ العفو والصفح:

ورد لفظ (العفو) في القرآن الكريم خمساً وثلاثين مرة، وأغلب معناها في مقابل الإساءة، وقد جاءت صفة لله تعالى مقترنة بالمغفرة، كما جاءت أيضاً مقترنة بالأمر بالصفح في أربعة مواضع، قال تعالى آمراً رسوله ﷺ بالعفو والصفح: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]، وأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بما أمر به رسولها فقال: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩]، فالعفو ملاطفة مطلوبة من كل إنسان مع المسيئين إليه، لأن المسيء مريض في عقله وفكره وسلوكه، وهو بحاجة إلى علاج ورعاية وملاطفة إلى أن يبرأ من مرضه.

وقال تعالى يأمر نبيه ﷺ بأن يأخذ العفو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، والمعنى: "خُذِ الْعَفْوَ أي: اختر يا أكمل الرسل طريق العفو والملاينة، واترك الغضب والخشونة بمقتضى شفقة النبوة"(٢١)، لذا كان من أهم صفات المتقين الذين نالوا الجنة ما ذَكَر اللهُ تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

أما لفظ الصفح فورد ثماني مرات في القرآن الكريم، يأمر فيها سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين به، فمن هذه المواضع قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ﴾ [الزخرف:٨٩]، وقوله: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥]، ولا يخفى ما تحمله تلك الآيات من لين وتلطف بهم، هم في أمَسِّ الحاجة إليه.

ثانياً: لفظ العُرْف والمعروف:

ورد لفظ (العرف) مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، أما لفظ (المعروف) فورد تسعاً وثلاثين مرة، جميعها تحمل معنى اللُّطف والسهولة (٢٢)، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ [النساء:٨]، وعن الوالدين قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان:١٥].

والمعروف: "هو الذي تألفه النفوس وتستحسنه، فهو مما تُسرُّ به النفوس ولا تشمئزّ منه ولا تنكره"(٢٣)، ولا شك أن المريض أحوج إلى فعل المعروف؛ لما يشعر به

من العجز والنقص، ولِما يلمُّ به من الألم بسب المرض.

ثالثاً: لفظ الرحمة:

ورد لفظ (رحم) ومشتقاته في القرآن الكريم ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين مرة، وفيه اسمي الله (الرحمن) و(الرحيم)، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم رحماء بينهم، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [محمد:٢٩]، ورحمتهم فيما بينهم أن أحدَهم يكون رحيماً برًّا بالأخيار، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن[٢٤]، والآية ليست خاصة بأصحابه ﷺ، أو بجماعة منهم، فقد قيل: إن المقصود بهم أصحاب الحديبية، لكن الأوْلى الحمل على العموم[٢٥]، فيهم وفي جميع المسلمين، ولا يخفى ما يحمله مصطلح الرحمة من التلطف والشفقة التي تطال كل مخلوق.

رابعاً: لفظ الرأفة:

ورد لفظ (رأف) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة باشتقاقين فقط (رأفة) و(رؤوف)، و(رؤوف) صفة من صفات الله تعالى وردت تسع مرات أكثرها مقترنة بصفة الرحمة. وقد وصف الله رسوله ﷺ بالرأفة والرحمة، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وهذا الأسلوب يشعِر بمدى الرعاية والعناية النبوية بالمؤمنين، وإثارة الهمم للتحلي بهذا الخلق العظيم، وهذه الرأفة والرحمة تجلّت في جميع تصرفاته ﷺ، وتعدّت المسلمين إلى غير المسلمين كما يبدو ذلك من سيرته ﷺ.

خامساً: لفظ اللين:

ورد لفظ (لين) خمس مرات في القرآن الكريم، من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وكان هذا خُلُق النبي ﷺ، وهو ما أمر الله به نبيَّيْه موسى وهارون عليهما السلام عندما أمرهما بدعوة فرعون، قال الله تعالى لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤]، ولين الكلام له بالغ الأثر في نفس المريض وغيره، فلا يستغني عنه الداعية في دعوته عموماً، وعند ملاطفته للمريض خصوصاً.

سادساً: لفظ لطف:

ورد (لطف) اسماً لله تعالى وصفة له سبع مرات، وورد فعلاً مرة واحدة، من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى:١٩]، وهي تدل على مدى العناية الإلهية بعباده، قال الإمام الشوكاني: "الله لطيف بعباده أي: كثير اللطف به، بالغ الرأفة لهم. قال مقاتل: لطيف بالبار والفاجر، حيث لم يقتلهم جوعاً

بمعاصيهم"[٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ [الكهف:١٩]، والمعنى: ليترفق الذاهب في الطريق إلى المدينة، وليتكلَّف اللطف مع أهل السوق، وليجامل معهم في المعاملة[٢٧]، والتلطف في المعاملة محمودٌ على كل حالٍ، وله آثارٌ طيبةٌ على المريض وغيره.

سابعاً: لفظ الإحسان:

ورد لفظ (حسن) في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة مائة وأربعاً وتسعين مرة، وقد أمر الله تعالى بالإحسان في كل شيء فقال: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، والإحسان لفظ "يشمل كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة"[٢٨]، وهو أشد ما يحتاجه الداعية في دعوته إلى الله عموماً، وحديثه إلى المريض ومواساته خصوصاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

ومن أهم المواقف التي أمر الله تعالى بالإحسان عندها الإحسان للولدين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣]، نظراً لحاجتهما إلى ولدهما وخاصة عند عجزهما وبلوغهما الكِبَر، فحاجتهما للرعاية حينئذٍ تكون أشد.

فهذه مجموعةُ ألفاظٍ قرآنيةٍ تضمنت في فحواها معنى الرعاية والتلطف عموماً، ودخل فيها الرعاية التلطيفية للمرضى ضمناً.

المطلب الخامس: مواقف قرآنية حول الرعاية التلطيفية

تعددت مظاهر الرعاية والتلطيف في القرآن الكريم، ويمكن بيان بعض هذه المظاهر من خلال المواقف والأساليب التي اشتملت على ذلك، ومن هذه الأساليب والمواقف:

الموقف الأول: رعاية النبي ﷺ وتلطفه بقومه:

وصف الله تعالى نبيه ﷺ بأنه رحمة للعالمين، وبينت الآيات مدى رعايته ولطفه بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، فقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يدلل على عظيم عنايته ورعايته ﷺ، وقوله: ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يدلل على عظيم لطفه بهم. فهذه الصفات جعلته ﷺ يتعامل مع قومه بأقصى وأعلى درجات التلطف والعناية، حتى خفف الله عنه من تألُّمه على عدم إسلام قومه، فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَ

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]، وقال تعالى: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨].

ومن جانب آخر فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاهتمام بالمؤمنين، وبخاصة الضعفاء منهم، وأن يرعاهم رعاية كاملة، ويراقب ويتابع أحوالهم باستمرار، ولا يغفل عنهم لحظة، فقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨]، والمعنى: "واصبر نفسك: أي احبسها معهم حبْس ملازمة. والصبر: الشدُّ بالمكان بحيث لا يفارقه... ثم أكد الأمر بمواصلتهم بالنهي عن أقل إعراض عنهم"(٢٩)، وهذا يدل على كمال العناية بهم، والرعاية لشئونهم، والمتابعة لأمورهم، والمراقبة لأحوالهم.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ في مواطن عديدة بأوامر تقتضي التلطف وسهولة المعاملة لقومه، منها: قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، وفيها دلالة على التواضع والرفق، "وخفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب"(٣٠).

وأمر الله رسوله ﷺ باللين في الكلام مع الفقراء، فقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾[الإسراء:٢٨]، "قيل: المعنى: ﴿وإما تعرضن﴾ أي: إن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لضيق يد فقل لهم قولاً ميسوراً، أي: أحسِن القول، وابسط العُذر، وادع لهم بسعة الرزق، وقل: إذا وجدتُ فعلتُ وأكرمتُ، فإن ذلك يعمل في مسرَّة نفسه عمل المواساة"(٣١)، وقد نهاه الله تعالى عن زجر السائل ونهره، فقال له: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠]، وقد كان رسول الله ﷺ كما أراد الله تعالى منه، رحيماً لطيفاً ليناً ميسِّراً متواضعاً رفيقاً رؤوفاً ﷺ.

الموقف الثاني: رعاية الأنبياء وتلطفهم بأقوامهم:

أرسل الله تعالى رسله إلى أقوامهم لتبليغهم دينه الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وجعل سبحانه وتعالى طمأنينة النفس وراحة البال كلما تقرب الإنسان من الله، ولأجل هذه السعادة والراحة حرص الأنبياء ﷺ على هداية أقوامهم، وخاطبوهم في لُطف بلسان المتودِّد الرحيم لينالوا هذه السعادة، ويتحصّلوا على تلك الراحة، ونستطيع أن نستشعر هذا المعنى من خلال نداء الواحد منهم على قومه بلسان الشفقة: (يا قومِ)، وربما كرر هذا النداء.

- فنوحٌ عليه السلام أخبر عنه القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، فهو يتلطف معهم في الدعوة ويصبر عليهم، ويخاف عليهم أن يحل بهم عذاب الله، ويبقى هكذا يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، مئات السنين، يحتمل أذاهم، ويحلم بهم لأجل أن

يُسلِموا، فيكون بإسلامهم إنقاذهم من النار التي أُعِدت للكافرين.

– وهذا هود عليه السلام، دعا قومه متلطفاً بهم: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٦٥].

– وكذلك صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٧٣].

– ومثلهم شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [الأعراف:٨٤].

– وقد دعا إبراهيم عليه السلام أباه وخاطبه بخطاب مفعَمٍ باللطف والعناية: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً* يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ [مريم:٤٢-٤٥].

فهذه بعض خطابات الأنبياء لأقوامهم، وهي تدلل على مدى اللطف والرفق بهم، وتُشعِر بمدى الرحمة والرأفة التي تملأ قلوبهم، والاهتمام والعناية بإسلام أقوامهم وإنقاذهم من العذاب.

الموقف الثالث: ملاطفة لقمان لابنه:

من المواقف القرآنية الرائعة التي يبدو فيها جانب الرعاية واللُّطْف واضحاً ما قصة القرآن عن لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ثم أعاد له النداء المفعم بالحُبّ والحنان، والذي يُشعِر بمدى العناية والرعاية، بأسلوب في غاية اللُّطْف: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ...﴾ [لقمان:١٦] ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ...﴾ [لقمان:١٧].

الموقف الرابع: التلطف باليتامى والمساكين:

اليتيم فَقَدَ أباه في طفولته وهو في أشد الحاجة إلى عطفه وحنانه ورعايته، لذا تعبَّدنا الله تعالى بحُسْن معاملتهم، ومواساتهم بالرعاية والحنان، وتعاهدهم بالتربية والإحسان، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠]. جاء في سبب نزول الآية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وَ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠] قَالَ: انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ، فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، يَفْصِلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ، أَوْ يَفْسَدَ فَيَرْمِي بِهِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٠] إِلَى ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠] فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ(٣٢)، هكذا تُعلِّمنا الآية درساً في المعاملة لهؤلاء اليتامى بالتقرب إليهم، وحُسْن معاشرتهم، تلطُّفاً بهم، ومراعاة لحالهم، وقد قال ﷺ فيما يرويه سَهْل بنُ سَعْد ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا(٣٣).

وكما حرصت الشريعة على رعاية اليتيم والتلطف في معاملته، حرصت كذلك على التلطف في معاملة الفقراء والمساكين، وقد مضى قريباً أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بالتلطف مع الفقير والمسكين، وأن يقول لهم قولاً ميسوراً إن لم يجد ما يعطيهم، وألا ينهر سائلاً أتاه، وهذا المعنى يتأكد في آيات عديدة في القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ [النساء:٨]، فعند توزيع التَّرِكَة تجد بعض نفوس الورثة تنفر من حضور الفقراء والمساكين واليتامى، فنبههم الله تعالى إلى لُطف معاملتهم، والإحسان إليهم، قال في تفسير المنار: "والأدب الذي يرشد إليه الكتاب في هذا المقام: هو اعتبار أن هذا المال رزق ساقه الله إلى الوارثين عفواً بغير كسْبٍ منهم ولا سعْي، فلا ينبغي أن يبخلوا به على المحتاجين من ذوي القربى واليتامى والمساكين من أمّتهم، ويتركوهم يذهبون منكسري القلب مضطربي النفس ... وأما قولُ المعروف: فهو ما تطيب به نفوس هؤلاء المحتاجين عندما يأخذون ما يُفاضُ عليهم حتى لا يثقل على عزيز النفس منهم ما يأخذه، ويرضى الطامع في أكثر مما أُعطِي بما أُعطِي، فإن من الفقراء مَن يُظهِر استقلال ما ناله، واستكثار ما نال سواه، فينبغي أن يُلاطَف مثل هذا، ولا يُغْلَظ له في القول"(٣٤).

الموقف الخامس: التلطف بالوالدين والإحسان إليهما:

وصى الله تعالى الإنسان بأن يُحسن لوالديه، ويبالغ في التلطف معهما، والتقرب منهما، ورعاية شئونهما، وملازمتهما حياتَهما، فقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل

رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤]، ومظاهر هذا اللُّطف والرعاية يبدو من خلال:

- اقتران ذكر الوالدين بتوحيد الله تعالى، وهذا يُشعر بمكانتهما، ولزوم الاهتمام بهما.
- الأمر بالإحسان إليهما على كل حال، حتى ولو كانا مشْركَيْن، قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [العنكبوت:١٥].
- قوله: ﴿عِندَكَ﴾ تُشعِر بالمكانية، فكأنه سبحانه يوصي الولد بملازمة والديه، فلا يزالان عنده، يرعاهما، ويهتمّ بشئونهما ما بقِيا أحياءً.
- التواضع والتذلل والخضوع لهما، المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.
- الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما، وهذا يدل على العناية بشأنهما ما بقي ولدُهُمَا حياً.

الموقف السادس: التيسير ورفع الحرج:

التيسير ورفع الحرج مظهر من مظاهر اللطف بالعباد والعناية بهم، ومراعاة مصالحهم، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وطاقتها، وليس في الشريعة الإسلامية ما يشق على الإنسان فعلُه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وهذا لُطْفٌ من الله تعالى بعباده أن خفف عنهم في شريعتهم، ويسر عليهم أمور دينهم. وقد سبقت الإشارة إلى جانب التيسير ورفع الحرج عند الوقوف على لفظ (مرض) في القرآن الكريم، حيث أُشير إلى أن هذا اللفظ ورد في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة، عشرة مواضع منها كان استعمال المرض فيها في مقام الرخصة الشرعية والتيسير ورفع الحرج، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤]، فهي رخصة للصائم في رمضان أن يفطر ويفدي إن كان مريضاً أو مسافراً.

ومن ذلك الترخيص للمريض والضعيف وغيرهما من أصحاب الأعذار بالتخلُّف عن الجهاد، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة:٩١]، والترخيص بالتيمم عند تعذّر الماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ

مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً﴾ [المائدة:٦]، وفي الحج قال تعالى شأنه: ﴿وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، فهذه رُخَص تبين لُطْف الله بالعبد، وتيسيره عليه، ورفع الحرج عنه حال مرضه.

ومن أساليب ومواقف اللُّطْف كذلك الأمر في العديد من الآيات بالقول اللين، والقول الحسن، والميسور، إلى ما سوى ذلك من الأساليب والمواقف.

فهذه بعض المواقف والأساليب القرآنية التي تدل على مدى عناية القرآن الكريم بترسيخ مبدأ الملاطفة، والحث على الرعاية بالإنسان، علماً بأن هناك أساليب ومواقف أخرى تدل على ذلك؛ مثل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَن جَاءهُ الأَعْمَى﴾ [عبس:١-٢]، حيث عاتبه ربُّه في أنه عبس وتولى في وجه أعمى لا يبصر ولا يرى عُبُوساً ولا إعراضاً، وكان الأوْلى أن يتلطف ويعتني به.

وكذا ما وقع من مؤمن آل فرعون في حديثه لقومه وهو ينصحهم ويدعوهم إلى الحق، بأسلوب يوحي بمدى عنايته ولُطْفه بهم، إذ أنه يناديهم بلسان المشفِق الحنون: يا قومِ ...، ويكرر النداء به مرات ومرات، ومثله الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٢٠].

المبحث الثاني
قواعد ومنطلقات في الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم

هذا المبحث يتركَّز على الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم، وسأتناوله من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: أهداف الرعاية التلطيفية

الرعاية التلطيفية من منظور إسلامي تهتم بجانبين؛ الجانب الدنيوي والجانب الأخروي، وبناءً على هذه النظرة فإن الشريعة الإسلامية تسعى إلى تحقيق الأهداف من الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم، والتي أهمها:

١. **إسعاد المريض:** فإن نظرة رجل الدين ليست قاصرة على تخفيف الألم فقط، بل تهدف إلى تصويب نيته وتوجيهها ليكون ألمه في الله، وصبره خالصاً إليه، فيكون له به الأجر الجزيل، والثواب العظيم، لأن الإنسان لا تنتهي مراحل وجوده بالموت، بل هناك حياة برزخ، تتلوها الحياة الآخرة، فهو يتنقل من مرحلة إلى مرحلة ليصل إلى الغاية المنشودة، وهي رضا الله والجنة، فرجل الدين يسعى لغرس هذا المفهوم عند المريض، وجعْلِه يتقبّل وضعه –مهما كان– دونما ضَجَر أو اعتراض، فينشرح صدره،

ويشعر بالسعادة، ويمارس حياته بشكل اعتيادي.

٢." **إيجاد معنىً لحياة المريض**، فالكثير من المرضى ينهار عندما يتعرض لمرض عضال، فيفقد شعوره بمعنى الحياة، ولذلك تأتي هنا أهمية وضع أهداف قريبة المدى ضمن إمكانيات المريض الصحية، والمريض هو الذي يحدد هذه الأهداف، وأما دورنا نحن فأن نساعده على تحقيقها "[٣٥].

٣.**تخفيف المعاناة على أهل المريض وذويه**، وتثبيتهم وتسليحهم بعزيمة الصبر والرضا بقضاء الله، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١].

المطلب الثاني
أمراض تحتاج لرعاية تلطيفية وأثر الرعاية على المريض وذويه

لعل أهم الأمراض التي تحتاج إلى رعاية تلطيفية هي الأمراض التي تهدد حياة الإنسان؛ وهذه الأمراض منها العضوية، ومنها غير العضوية، وأكثر الحديث عن الرعاية التلطيفية يتركز على الناحية العضوية؛ كمرض السرطان وتليفات الكبد والفشل الكلوي، ونحوها من الأمراض التي تنتهي غالباً بموت الإنسان، لكن هناك أمراض ليست عضوية تعتمد على العلاج المعروف، وإنما يتم تشخيصها بطريقة مختلفة تماماً عن الطب البشري، وعلاجها أيضاً طريقته مختلفة، وأثرها على الإنسان لا يقل خطورة عن تلك الأمراض العضوية؛ وذلك كالإصابة بالسحر والحسد والعين، ولا يخفى مدى تأثير هذه الأمراض في حياة المريض والوسط الذي يعيش فيه، ولا يمكن علاجها بالطريقة التقليدية حسب رؤية الطب البشري، بل تحتاج إلى رجل دين صالح ، عارفٍ بتشخيص المرض وطريقة علاجه.

إن تأثير الرعاية التلطيفية على المريض يحسِّن من أعراض الألم الذي يأتي مع تلك الأمراض العضوية وغير العضوية، والتي من شأنها أن تؤثر على الجوانب النفسية والروحية والاجتماعية وغيرها من الجوانب في حياة الإنسان وذويه، فهي تساعد المريض وتأخذ بيده ليعيش حياته الطبيعية وينسجم مع مرضه، وتساعد ذويه على مواجهة هذا الابتلاء، وتجعلهم يتكيّفون مع هذا الواقع الجديد الذي طرأ عليهم، فغيّر من حياتهم ونفسّياتهم وطبيعة تفكيرهم.

المطلب الثالث: دوائر الرعاية التلطيفية

تدور الرعاية التلطيفية حول مجموعة من الدوائر التي تشكل سلسلة متصلة الحلقات، كلاً منها وثيق الصلة بالآخر، كي تستقيم الحياة، ويشعر الجميع بالاستقرار

والأمان في مواجهة الأخطار التي تَعرِض بالأفراد، وهي:

١.**المريض:** ويأتي في المقدمة، وهو المقصود بالدرجة الأولى بالرعاية التلطيفية.

٢.**أهل المريض:** الذين يشكّلون الدائرة الأولى المحيطة بالمريض، وهم أكثر الناس تضرراً بوجود المريض.

٣.**المرض:** فإن نوعية المرض تلعب دوراً هاماً في نفسية المريض وأهله.

٤.**الفريق الطبي:** وهم الذين يقدمون الجزء الأهم من الرعاية للمريض.

٥.**فريق الرعاية التلطيفية:** وهو فريق متنوِّع، منهم من يهتم بالجانب النفسي، ومنهم من يهتم بالجانب الاجتماعي، وآخرون يراعون البُعْد الروحي، وهكذا.

٦.**وسائل الرعاية التلطيفية:** وهي أفضل طريق يتبعها فريق الرعاية التلطيفية في تخفيف الألم عن المريض، ورفع المعاناة عنه وعن عائلته.

المطلب الرابع: صفات فريق الرعاية التلطيفية

لا بد لفريق الرعاية التلطيفية من أن يتصف بصفات تؤهله للقيام بهذه المهمة، ويكون لكلامه وفعله الأثر، وخاصة رجال الدين منهم، وأهم هذه الصفات:

١.**الإخلاص:** ينطلق في عمله من كونه عبادة يتقرب بها إلى الله، يُدخِل السرور على المريض، ويُذهِب عنه الحزن، ويخفف من آلامه. ويحرص الداعية ألا يكون مقصده من عمله دنيا يصيبها، أو مالاً يجمعه، أو شُهْرة ينالها، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥].

٢.**الحِكْمة:** وهي تقتضي أن يكون حديثه مع المريض في الوقت المناسب، وبالقَدْر المناسب، فليس كل وقت ينفع أن يتكلم فيه مع المريض، وليست كل طريقة تصلح أن يتحدث بها إليه. وليعلم أن عمله هذا هو دعوة إلى الله، والله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

٣.**العلم:** الذي يمكّنه من التحدث إلى المريض وفق طبيعته وطريقة تفكيره.

٤.**قوة التأثير والإقناع:** وهي معتمدة على الحجج والبراهين والشواهد والدلائل بما يليّن القلب، ويثير العواطف، ويبعث على الصبر والثبات وتقبّل الواقع. ويستفيد لذلك من قصص السابقين من أصحاب الابتلاءات، ويأتي في مقدمتهم نبي الله أيوب عليه السلام.

٥.**التحلي بالصبر:** وهو خير زاد للداعية، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨]، فالداعية يحتاج إلى صبر على المريض، يستمع إليه ويصغى لحديثه حتى ينتهي منه، ويتفاعل مع شكواه، يفرح بفرحه، ويتألم بألمه.

٦.**الرحمة والشفقة:** وهي من أهم ما ينبغي أن يتخلّق به الداعية، قال الله تعالى في وصف رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٩٧]، وقال أيضاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]، وشعور المريض بالعجز يجعله كالمستغيث، فعلى الداعية أن يكون به رحيماً رفيقاً، يخفف عنه آلامه، ويحاول أن يسدّ العجز الذي فقده بالرحمة والحنان والشفقة.

٧.**الرفق واللين:** ويكون ذلك مهما كانت الظروف، قال تعالى في شأن محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٨.**طلاقة الوجه وحُسْن الاستقبال:** فإن بشاشة الوجه تفتح القلوب المغلقة، وتستحوذ على الأفئدة، وتنبسط لها الأسارير، وتنشرح لها الصدور، ويكون لها بالغ الأثر في نفس المريض، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٣٦).

٩.**الحِلْم والأناة:** قد يجد الداعية من المريض بعض الأخلاق أو التصرفات التي لا تعجبه، وقد يجد إساءة وجهلاً، أو في الكلام شرحاً وتفصيلاً وتطويلاً، فهذا لا يعني أن ينقطع عنه ويتركه، أو يُظهر له الضجر والضيق، بل عليه أن يحلم به، ويتأنى ولا يتعجل، قال رسول الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»(٣٧).

فهذه أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية عند مواساته للمريض والتلطيف به، ليكون لفعله هذا أثر إيجابي على المريض وذويه، وانعكاس على نفسياتهم، مما يجعلهم يشعرون بالراحة والأمان.

المطلب الخامس: توجيهات عامة في الرعاية التلطيفية

أولاً: توجيهات للداعية:

كي يستطيع الداعية التعامل مع المريض والتلطيف عليه لا بد من معرفةٍ عامةٍ يستطيع من خلالها أن يدخل إليه، ويتحاور معه، ويقدّم له النصح والتوجيه، ويؤثر فيه، مثل:

١. التعرف على المريض:

- **التعرف على مرض المصاب ودرجته:** ويكون ذلك عن طريق الأطباء المتابعين لحالة المريض، أو أهله الذين تعرّفوا على حالة مريضهم من الأطباء المتابعين لحالته، وقد يكون المريض نفسه على اطلاع واسع بمرضه من خلال متابعته مع

الطبيب.

• **التعرف على ديانته:** وهو ضروري؛ ليعلم الداعية كيف يخاطبه؟ وماذا يختار من الكلام المناسب لديانته؟ ومحاولة التأثير عليه كي يُسلِم، فإن في ذلك إنقاذ له من عذاب الآخرة.

• **التعرف على طبيعة تفكيره:** فمما لا شك فيه أن لكل إنسان طريقة في التفكير تختلف عمن سواه، والتعرف على طبيعة تفكير المريض تمكّن الداعية من مبادلته الحديث، والانسجام معه بحسب طبيعة تفكيره.

• **التعرف على ميوله:** ماذا يحب وماذا يكره؟ وما الذي ينفر منه وما الذي يرضيه ويعجبه؟ وما الذي يثيره ويغضبه وما الذي يسكِّنه ويطمئنه؟ ماذا يفضّل وماذا لا يفضل؟ وهكذا..

• **التعرف على حالته الاجتماعية:** متزوج أم أعزب؟ مراحل تعليمه؟ ماذا يعمل؟ هل لديه أموال ومشاريع؟ أهله وأقاربه؟ أصدقاؤه، ومن المقرب إليه منهم؟ مكان سكنه؟ هواياته؟ وما إلى ذلك.

كل هذه المعطيات تعتبر مؤشرات للداعية تمهِّد له الطريق ليعلم كيف يتعامل معه ويؤثر فيه.

٢.**مواساته بأعذب الألفاظ، ولين الكلام:** فإن هذا من شأنه أن يؤثِّر في المريض، ويهدّئ من رَوْعِه، وإن الفظاظة والغِلْظة في الكلام تنفِّر وتُبعِد المريض عنه، بل قد تزيد من نَكَدِه وضيقه، لذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقد علَّمَنا النبي ﷺ ما نقوله للمريض عند عيادته؛ ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ... وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(٣٨).

٣.**تذكير المريض بنِعَم الله عليه،** فإن تذكيره بالنِّعَم يقربه من الله، ويشعره بأنه ممنونٌ إليه ومَدِينٌ بما أولاه إليه من النِّعم، وأن ما أصابه من مرضٍ لا يساوي شيئاً مقابل تلك النعم. وحتى يستشعر المريض عظيم نعمة الله عليه يتم توجيهه للنظر إلى غيره من هو أشد منه مرضاً، حينئذٍ يدرك أن حاله أفضل من حالهم، وأن الله تعالى حباه بنِعَمٍ كثيرةٍ لكنه لم يلتفت إليها. وهذا يعتبر مدخلاً هاماً للتحسين من نفسيته والتخفيف عنه، لذا وجدنا الأنبياء عليهم السلام يذكِّرون أقوامهم بنِعَم الله عليهم؛ ليُقبِلوا عليه، ويُقلِعوا عن معصيته ومخالفته، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾ [المائدة:٢٠].

٤.**الحرص على تثبيت المريض على دين الله تعالى،** حتى إذا قبضه الله قبضه على الإسلام فينال السعادة في الآخرة، وأن يحرص على دعوة غير المسلم إلى الإسلام، فإن في هدايته إنقاذ له من عذاب النار؛ لأن المنظور الإسلامي للإنسان لا يقف به عند حد الموت، وإنما يراعي حاله بعد الموت كذلك، فإن الحياة الدنيا زائلة، والآخرة هي الباقية.

ثانياً: توجيهات للمريض وذويه:

١.لا بد من توصيل مفهوم **(التسليم بقضاء الله)** للمريض وترسيخ عقيدة أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]، وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢].

٢.**الثقة بالله، والتوكل عليه:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [طه:٨٠]، فليس الطبيب هو الشافي، وليس العلاج شافياً، إنما الشافي هو الله، وما هؤلاء إلا أسباب للشفاء، فليجعل المريض ثقته بالله عالية، وتوكله عليه كاملاً، وكم من مريض كان لا يُرجَى شفاؤه كَتَبَ الله له الحياة من جديد، وكم من صحيح باغته الموت دونما إنذار.

٣.**حُسْن المَنْطِق:** إن المرض ابتلاء من الله تعالى يصيب به العبدَ لإرادة الخير به، لذا لا بد للمريض أن يحرص على اختيار أفضل الكلام للتعبير عن حاله، فقد علَّمنا الله تعالى ماذا نقول عند الابتلاء: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ [البقرة:١٥٦]. وإن نبي الله يعقوب عليه السلام حينما جاءه أبناؤه يخبرونه عن يوسف عليه السلام فقالوا له: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[يوسف:١٧] رد عليهم بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

٤.**الاستعانة بالصبر:** فإن الضجر والسخط لن يغير من الواقع شيئاً، فلن يُذهِب مرضاً، ولن يأتي بعافية، وما دام الأمر كذلك فعليه بالصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، وقد عدَّ الله تعالى الصبرَ على الضرِّ الذي يصيب الإنسان من صفات أهل البرِّ والصَّلاح، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وحينما يُذكر الصبر يقترن ذكره بنبي الله أيوب عليه السلام، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

٥.**الذكر والدعاء:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٤١]، والذكر يُطَمْئِن القلب، ويُرِيح البال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ

أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الزمر:٢٨]، والمريض في حال مرضه –سيما إذا عجز الطب عن شفائه– يكون أحوج ما يكون إلى الله، فيتضرع إليه بالدعاء؛ لعله يرفع عنه هذا البلاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وبعد: فهذه مقتطفات قرآنية للرعاية التلطيفية، ولَمَسَات حول بعض المنطلقات في هذا الموضوع، عسى أن ينفع الله بها، وأن تكون بوَّابة الانطلاق إلى دراسات قرآنية حول الرعاية التلطيفية بمعناها الشامل. وأسأل الله تعالى أن ينفعني بهذا البحث ووالدَيّ والمسلمين أجمعين، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة:

بعد هذا العرض للرعاية التلطيفية في السياق القرآني، خَلُصَ البحث بأهم النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

أولاً: أهم النتائج:

١.كشف البحث عن جذور هذا العلم وأصالته، فجذوره تمتد إلى عصر الوحي الذي نزل بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢.بيّن البحث أن الرعاية التلطيفية لا تقتصر على المرضى وذويهم فقط، بل تشمل نواحٍ أخرى؛ كالرعاية التلطيفية المتعلقة بالوالدين، واليتامى، والفقراء والمساكين، وغيرهم.

٣.وضح البحث مدى الحاجة إلى الرعاية التلطيفية للمرضى.

٤.بيَّن البحث ضرورة إيجاد كادر دعوي يقف مع المريض جنباً إلى جنب مع الكادر الطبي؛ لأن مراعاة الجانب الروحي والنفسي للمريض أمر مهم، ينعكس إيجاباً على حالته الصحية، وعلى نفسية ذويه.

٥.وضَّح البحث دوائر الرعاية التلطيفية، وأنها لا تقتصر على المريض فقط، بل تتعداه إلى أهله وذويه، وإلى أكثر الناس احتكاكاً به وتأثيراً عليه أو تأثراً به.

٦.تعتبر الرعاية التلطيفية هي إنسانية بالدرجة الأولى، فلا تقتصر على المسلم فقط، بل تشمل كل مريض، بغضّ النظر عن جنسيته أو لونه أو عرقه أو ديانته.

٧.بيان أن القرآن الكريم حوى علوم الأولين والآخرين، فقد جاءت آياته لتشمل الحديث عن الرعاية التلطيفية للمريض بالأساليب المتنوعة في طريقة التعامل معه وذويه.

ثانياً: التوصيات:

١.تخصيص مقرر دعوي خاص بالرعاية التلطيفية، تتقرر دراسته على الكليات

الشرعية في الجامعات، من أجل إعداد كادر دعوي يقوم بمهمة الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم، وأصحاب الابتلاءات.

٢.أوصي وزارات الصحة تشغيل عدد من الدعاة ذوي كفاءات عالية وأسلوب مؤثِّر في المستشفيات وغيرها من المرافق الصحية، للقيام بواجبهم في الرعاية التلطيفية للمرضى وذويهم.

٣.توسيع دائرة الحديث في جانب الرعاية التلطيفية، وعدم قصرها على الناحية الطبية فقط، بل توسيعها لتشمل كل بَلِيَّةٍ تُصيب الإنسان.

هوامش البحث:

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ١٢٩/١.
(٢) انظر، القرطبي، تفسير القرطبي، ١٢٦/٥-١٥٧.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٠٨/٢.
(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٦/١٤-٣٢٩.
(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢٥٠/٥.
(٦) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٦٣/٢٤-٢٦٦.
(٧) الرازي، مختار الصحاح، ص٢٨٢.
(٨) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٥١/٤.
(٩) محمد أكرم بشناق، السرطان في قفص الاتهام، ص١٣٣، عزى المؤلف التعريف لمنظمة الصحة العالمية.
(١٠) أريج بنت غازي مطر، الرعاية التلطيفية، ص٨، ذكرت المؤلفة أن هذا التعريف هو تعريف منظمة الصحة العالمية.
(١١) آمال صادق، وفؤاد حطب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ص٦٧٤.
(١٢) البخاري، صحيح البخاري، ١١٥/٧، حديث رقم (٥٦٤٨).
(١٣) البخاري، صحيح البخاري، ٧١/٢، حديث رقم (١٢٤٠).
(١٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٨٢.
(١٥) ذكر المفسرون قصصاً إسرائيليات حول ابتلاءات أيوب عليه السلام، وهي تبين تفصيل ما وقع به عليه السلام؛ لذا تركت ذكر تلك التفاصيل؛ لما عُلِم من حُكم الإسرائيليات.
(١٦) الموضع الأول قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس:٣٠]، والآخر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق:٩].
(١٧) السمرقندي، تفسير السمرقندي، ١٦٩/١.
(١٨) انظر، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٦٨/٥.
(١٩) ابن منظور، لسان العرب، ١٣٤/٧.
(٢٠) انظر، الشوكاني، فتح القدير، ٥٨/٣.
(٢١) النخجواني، الفواتح الإلهية، ٢٧٨/١.
(٢٢) يُستثنى من ذلك موضعان: الأول: قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد:٢١]، والثاني: ﴿قُل لاَ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [النور:٥٣].

([٢٣]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤٢/٢.
([٢٤]) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٦٠/٧.
([٢٥]) الشوكاني، فتح القدير، ٦٦/٥.
([٢٦]) الشوكاني، فتح القدير، ٦١٠/٤.
([٢٧]) انظر، الفواتح الإلهية، ٤٧٥/١، وأبا السعود، إرشاد العقل السليم، ٢١٤/٥، والبغوي، معالم التنزيل، ١٨٥/٣.
([٢٨]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦٨/١٥.
([٢٩]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠٤/١٥-٣٠٥.
([٣٠]) الشوكاني، فتح القدير، ١٧١/٣.
([٣١]) القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٤٩/١٠.
([٣٢]) أخرجه الحاكم، المستدرك، ١٢٤/٢، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.
([٣٣]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ٥٣/٧، حديث رقم (٥٣٠٤).
([٣٤]) رضا، تفسير المنار، ٣٢٥/٤.
([٣٥]) محمد أكرم بشناق، السرطان في قفص الاتهام، ص٤٠.
([٣٦]) مسلم، صحيح مسلم، ٢٠٢٦/٤، حديث رقم (٢٦٢٦).
([٣٧]) مسلم، صحيح مسلم، ٤٨/١، حديث رقم (١٧).
([٣٨]) البخاري، صحيح البخاري، ٢٠٢/٤، حديث رقم (٣٦١٦).

فهرس الكتب والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٤. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد الحميد النوّتي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥. تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.
٧. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨. تفسير المنار، محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ)،الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.
٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٠.الرعاية التلطيفية، أريج بنت غازي مطر، جامعة الملك عبد العزيز – عمادة خدمة المجتمع والتعليم المستمر – وحدة المسئولية الاجتماعية – سلسلة المطبوعات التوعوية (٤).
١١.السرطان في قفص الاتهام، محمد أكرم بشناق، المملكة الأردنية الهاشمية، رقم الإيداع لدى دار المكتبة الوطنية (٢١٠١/١١/٤٢٢٢).
١٢.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
١٣.صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٤.فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١ ، ١٤١٤هـ.
١٥.الفواتح الإلهية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٦.لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ ، ١٤١٤هـ.
١٧.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
١٨.مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٩.المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار النشر: دار الحرمين–القاهرة– مصر،١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.
٢٠.معالم التنزيل، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق:عبد الرزاق المهدي،الناشر:دار إحياء التراث العربي–بيروت،ط١٤٢٠،١هـ.
٢١.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٢.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٢٣.نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق، وفؤاد حطب، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة.
٢٤.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.